حدود التأويل في الممكنات الدلالية للغة

الأستاذة بولحية صبرينة
كلية الأدب العربي و الفنون
جامعة عبد الحميد بن باديس

الملخص:

لما كان النص علامة لوجود معنى يقصده مؤلفه، فإنّ القارئ لا يعمل إلا على تتبع الآثار التي تمكنه من التحليق خلفها وفتح مستغلقاتها؛ فلفهم النص وامتلاكه ينبغي أولاً فهم اللغة التي تشكله باعتبارها إنتاجاً يغدو بالدرجة الأولى ذاتياً، فيطرح التأويل أسئلته باحثاً عن إجابات لها داخله، ذلك أنّ البحث عما هو موجود داخل النص يشكّل مهمة لانهائية. إنّ هذه العملية تظهر كسيرورة ينجزها الفعل القرائي على مراحل متعينة، كما أنّ الإجابات التي يضعها القارئ تمنح السؤال عن النص و لاتناهيه، أي أنّه سيظل قائماً رغم الإجابات التي تتراكم حوله، ويعتبر النص ملاكُه اللغة، وكنظام من العلامات يصبح موضعاً يتعيّن فيه التدليل، وتُمنح له صفة العمومية. ومن ثمّ فعملية توليد الدلالات من النص تأتي عن طريق الفعل الانتقائي والتنظيمي الذي يهيئ بناءالعلاقات الدلالية، ويضع القارئ كفاعل مشارك في تحيينها لأن يماهي ذاتيته مع عالم النص.

الكلمات المفتاحية: التلقي، التأويل، اللغة، القارئ، النص

Abstract:

The text was a sign of the meaning of the author's intention, the reader only works to trace the effects that enable him to fly behind it and open its closures; their text and possession should first understand the language they constitute as a production that becomes primarily subjective, so the interpretation raises his questions in search of answers Within it, as the search for what is contained within the text is an infinite task. This process appears to be done in a phased manner, and the answers given by the reader give the question of the text not to be overdeveloped, that is, it will persist despite the answers that accumulate around it, and the text is considered to be language owners, and as a system of marks becomes a place to be pampered and granted to Its general character. Hence, the process of generating semantics from the text comes through the Selective and Regulatory act that creates semantic relationships and puts the reader as a co–actor in their compliments because he is so smart with the world of text.

KEY WORDS :

Esthétique de la réception, texte, implicite Reader, interprétation, langue

– مقدمة:

ينظر التأويل إلى النص كعالم يستجدي القبض على دلالاته الماثلة أمامه على مستوى من الفكر المتبصر، وهو خاضع في كل مساعيه لإتباع التخطيطات التي سننها النص في تكوين يكتفي بنفسه، لا يتعلق بمعنى ظاهري فقط يحقق كينونته، بل أيضا بكمون يترصد تفاعلا من القارئ كي يفك خداع اللغة واكتمال النصوص المزّيف، "فالتأويل إذن هو احتمال قائم في القول وإمكان تقتضيه اللغة"[1]، وتصبح العلاقة بين النص والقارئ صافية إزاء تأويلات محتملة تفرض صحتها كفاءة القارئ التي تبيح له إنتاج النص والتفاعل معه ، من خلال فعل القراءة التي يمكن أن يعقل النص كدلالة، واشتراط اللغة كموضوع وعي أضيف من خلال حروف سُطرت بالغموض.

وعليه لا يمكن أن تَنزع اللغة إلا للفّ نفسها داخل معاني تروم أن تكون مخبأة فيما وراء الكلمات، وهي لعبة تضمن للنص استمراريته، وبالتالي خلوده الذي لا ينفك يستدعي قراءه، وقتما انفتحت صفحاته بين يدي القارئ. ولا يمكن أن ننسى أن اللغة تُلبس من كلماتها أثوابا متعددة الأوجه مما يدفع بالقارئ إلى التقلب في ثنيات النص باحثا عن الحقيقة في ماوراء اللغة. والأمر الذي دفعنا بالبحث عن تأويل اللغة وفك مستغلقاتها المستعصية على الفهم.

1 –ما وراء الكتابة والتأويل اللغوي:

إنه و بدلا من أن نضع اللغة تحت عنف القراءة لمعرفة ما يريد المؤلف قوله، لابد ان يكون الأداة المستخدمة في القراءة محاطة بالتجربة الخصبة واستدعاء فروض مسبقة عن تكوين النص، إذ هي بذلك تصبح الدور الكاشف لبسط معارف و خبرات مُقولبَة، تقدم معيارا كافيا لرصد ملامح المعاني التي أخفاها المؤلف تحت طيّات الكتابة بناء على تجربة أنه لا يمكن أن تؤخذ إلا من خلال فعل الاظهار "إذ كل فعل كتابي يستدعي فعلا قرائيا كما أن كل فعل قرائي يفترض وجود نص كتابي مثبت "[2]، ما دمنا نعامل النص كجزء من مجال الرؤية التي لا تكتمل إلا بلمسة من القارئ، و يدرجه بعمق في طريقة تفكيره الخاصة، ويتوضح حينها أنه حاملا لجدلية أبدية، "فإن ما ينتج المعنى [بالأخير] ليس النص بذاته بل هي القراءة المستعادة في شكل اللغة"[3] ، و التوازي هنا لا يمكن أن يكون إلا داخل مدارج المعرفة غير المكتفية بذاتها.

والحق أنّه لا يمكن أن يعقل النص إلا ككيان يتمايز في خصوصيته عنّا، فهو يحمل في داخله علاقات تتحدد لتبعد الفجوة بين واقعين مختلفين تماما، واقع تجربة القارئ وواقع تجربة النص، وإثر ارتباطهما يتحدد الاثر كفعل يضاف له حدوده وترتسم له ملامحه، ويجدر القول هنا أنّ المعنى سيكون ثابتا إزاء تأويلات مختلفة وهنا يضمن النص لنفسه خلوده، وذلك "لأن مقاصد المؤلف التي صدر عنها المعنى معطاة

بكيفية نهائية أما المتغير فهو الدلالة التي يمنحها كل مؤول للنص بحسب مقاصده و مقصديته"[4]؛ فالنصوص مدعاة دائما لتعمية دلالاتها والحد من التصريح بها، لتحمل القارئ للغوص في حميميتها، وهنا تكتمل العملية التواصلية.

يبدو أنّ المقاصد تتمثل فوق كل انتماء، وتكون ممكنة في رصدها لتكوين موضوع جمالي يحقق النص هويته إثرها، فهو مراجعة تستثير إلى خليط من المعاني توصف مركبة، تتحين صعوبة في القبض عليها من القارئ لأنها ستكون مضمرة تحت سحر اللغة، لأن كل نص يختلف كنتاج يستوقف داخله معارف المؤلف وثقافته، وقد اعتقد **هيرش** "أنّ معرفة مقاصد المؤلف هي التي تحدد معنى النص لأن المقاصد هي:"العرف المميز الملائم، وعليه فإن بذل أي مجهود لمعرفة مقاصد المؤلف هو خطوة في سبيل الوصول إلى تأويل موضوعي يحد من باب التأويلات وتنجلي مقاصد المؤلف في قواعد اللغة التي يسميها مبدأ الاشتراك"[5]. هذا كاف بأن يجعل اللغة موضوعا ينتسب إلى عالم واحد دون أن تتطابق دلالته أبدا.

فاللغة هي التي نعبر من خلالها إلى عوالم المتكلم كما يرى ذلك **همبوليت** حيث توجد علاقة غير مباشرة بين الملفوظات والاشياء، ولا يمكن أن تكون غير ذلك، " فاللفظ انطباع لا للفظ ذاته بل للصورة التي أنتجها ذلك الشيء في النفس "[6]، و في المقابل نفترض أن الرابط بين تينك الوجهين هو قصد المؤلف أو المتكلم، ومع أن العلاقة بين القارئ والمؤلف تبقى غامضة غير أنه ولابد أن يتعامل النص كجزء من الكيان الكلي الذي يمثل الموضوع الوحيد للتفكير وطريقة تتحد في بعدها الأمبريقي فعلا قابلا للكشف، حيث يعكس التصالب بين النص و القارئ الذي ترتضيه برجماتية اللغة.

إنّ محاولة امتلاك وسائل وآليات لفك شفرات النصوص، رغم المسافة الحاصلة بين مبدعها ومتلقيها تشكل عبئا لا يحتاج ضرورة استخدام أسلوب فهم لمعاني أدرجها النص تبعا لخصوصيته المغلقة، فالنصوص المغلقة هي التي تنفتح على تأويلات محتملة، ويصبح النص المغلق عند **إيكو**، "هو النص الذي ينفتح على كل احتمالات التفسير أي أنه النص الذي يقبل كل تأويل محتمل"[7]، فمقاصد المؤلف تكون مندسّة تحت طيات البناء اللغوي، ويتماسك النص أمام تأويلات متعددة ومحتملة تتيح فهم مقاصد المؤلف رغم تقديم النص لقارئه فرضية انغلاقه واكتماله، مما يسمح لهذا الانغلاق أن ينفتح على كل التأويلات المختلفة.

والمسألة بعكس ذلك بالنسبة للنصوص المفتوحة، فهي التي لا تفسح مجالا أوسع للتأويلات إلا وفق ما هو موجود داخل النص، تبعا لإوالياته وممكناته، ومن تم تعيق حرية القارئ في تقديم تأويلات للنص تلغي قابليتها للقراءات، على مستوى التعاضد التأويلي الذي ينشأ بين النص والقارئ، "فلا أكثر انفتاحا من نص مغلق إلا أن انفتاحه يكون من فعل مبادرة خارجية برقة بالغه "[8]. فعلى القارئ أن يُكوّن ويعيد تأليف هذه النصوص كيما يخوض تجربتها، وأن يدركها في انفتاحها كي يُوجِد خصوصيتها وفقا للإدراك الذي

يمتد بجذوره في وعي القارئ، ويتعالق مع النص في ظل إعادة تركيب المعاني التي تظل مركونة تنتظر رؤية قارئ لإعادة تشكيلها واكتمالها.

2-تعددية المقاصد في النص الواحد:

وقد أدركت القرون الأولى تلك التعددية الممنوحة إثر تأويلات النصوص المقدسة، وقد ألغت الفكرة القائلة بحرفية النص **فدانتي (A.Dante)** " كان أوّل من قال بأن شعره يحتوي على معنى حرفي من الواجب الكشف عنه، إنه معنى على ضفتي المعنى الحرفي"[9]، وعلى الفكر أن يعرف مسارات المعنى التي يعلمنا إياها النص. والمقاصد المرصوفة على سطحه، إذ نجد النص تزركشه معاني أربعة تلوح في أفقه، "فعلاوة على قراءة قصيدة الكوميديا الإلهية divin comedy قراءة حرفية، فإنه يمكن أن تقرأ أيضا بوصفها أمثولة أو وصفا أخلاقيا أو تأويلا روحانيا باطنيا أي دينيا للقصيدة نفسها"[10]، فالبنية التي يجتاحها الغموض هي التي تحتاج إلى فهم وتفسير «ففهم النص هو في الحقيقة مفهوم علوي يتضمن مكونات خاصة ببراغماتية النص، وكذلك عوامل غير لغوية كثيرة "[11].و ربما كان الاعتراف بالتعددية للمعنى في كل ما يمكن أيكون عليه النص كدلالة، وإذا ارتضينا وساطة الرموز فهذا يقود إلى أن نعترف بأن المعنى المدفون في الكلمات يشبك كلا من المعنى والكلمة ليتحدا بين يدي القارئ، وهو تأكيد على البقاء في عالم النص ضمن القراءات التي تحدد سير الدلالة وفق ما يشترطه القارئ في رسم شراكة لا تمّحي مع النص، ويمكن الجزم بالاعتقاد بأن المعنى يعيش في كل الكلمات التي تتحرك دلالاتها وفق سيرورة لا تنتهي.

وما يشتغل به النص كطواعية يشكل مقصديته باندساسها والاحتفاظ منها بسمة لا يستطيع أن يتحرر منها رغم القراءات المتكررة، ورغم تقديم تأويلات يستمد شرعيتها القارئ من باطن النص، إذ لا يمكن فصل الفكرعن تعبيره، فهو مأخوذ بالارتباط الدائم بالمعنى، والمعنى لا يولد إلا بظهور التعادل بين التجربتين، فلا تتحدد المقاصد بشكل مباشر.

إن البحث في كلية النص وعالمه الرمزي تأخذ مداها عبر بناء فروض مسبقة لتكوين معناه، فلا توجد نصوص خارج مستوى تلقيها أو إنشائها، "فالنص تكوين لغوي أنشأه منشؤه بالتزام مطابق للقصد التزام بغرض ذي تأثير لاحق مساوي في الأغلب ليس في شريك فحسب بل في عدد أكبر. نعم عدد أكبر من الشركاء "[12].

إن مبدأ التأويل اللغوي للنص يجعل مسعانا لا يحيد عن دراسة الجوانب اللغوية في جميع مستوياتها ورصد كل تجلياتها بوصفها العلامة الأكثر تدليلاً على أديم النص، فلغة النص لا تقف عند المعنى المعجمي، إنّما تتجاوزه لتغدو حقلا من المعاني والدلالات المتداخلة، والحال أنّها مشحونة بجملة من المعاني التي يتوخى فيها المؤول إمكانية إدراكها وتأويلها كعلامة لغوية، والعمل على استيعابها والتعرف على قدراتها

من خلال الأثر الذي تحدثه في المتلقي. وتنشأ هذه المعاني اللغوية داخل سياقات معينة تكون محددة بدءً في النص وتأخذ دلالاتها منه، فالنص هو الذي يحدد للغة موضعتها ومحورها التي هي مغمسة فيه، فيجعل السياق اللغوي الذي تنشأ فيه إمكانية لإضافات جديدة تحتملها، ممّا يزيدها قدرة على توسيع دلالاتها من توظيف لآخر فهي تتوالد وتتنامى من اختلافاتها.

3-اللغة بيت الوجود:

إنّ اللغة في بعدها الأنطولوجي هي إمكانية للكشف عن الوجود والعالم الذي يعدّ مجسداً فيها، فهي الوسيط اللغوي الذي يقدم رؤية للعالم من خلال الكلمات داخله ويتخذ منها ظاهرة تنّم عن الترائي لهذا العالم على حد الفكر **الهيدجري،** فالكلمة لها دورها الخاص الذي تمثله من كونها تضع لنفسها وجودها الخاص، وهذه الخبرة التي تفتحها اللغة على العالم يحسّها الشاعر لحظة استدعائها، فيعمل على تخيير كلماته ويستنطق صمتها. ومن الصعوبة بمكان أن تسلّم الكلمات نفسها إلى الكاتب "تلك الصعوبة كامنة في مدى السيطرة على عملية الإخراج أو التشكيل النصي لا لشيء إلاّ لكون اللغة مقاربة للواقع غير مطابقة له "[13]، وعلى هذا تتحقق ماهية اللغة من خلال الكشف والإظهار الخاصين باللغة من حيث كونها تعكس وجود العالم والوعي الذاتي فهي التعبير الحاصل لذلك، حيث تتعالى اللغة لتغدو القول الذي "يعبر من خلالنا فتتحدث بذلك عن ذاتها"[14] ، لذلك ففهم ماهية اللغة هي فهم للنص، ومن ثمة تتأسس الحقيقة التي تؤول إلى ظهورها بجلاء، وإخراج العالم من الظهور إلى اللاتحجّب.

يسعى القارئ إلى إعادة تأليف النص، وإدراكه لا على سبيل فهمه فقط بل كذلك لفهم التجربة التي تقدمها اللغة، وإذا كان ذلك كذلك، فثمة حقيقة ما داخل اللغة لا خارجها في النص، نقرأها ضمن ذلك السَمْت الذي تنشئه الكلمة داخل السياق النصي، فالكلمات بدورها تستمد طاقتها ومعناها من مثيلاتها، إذ تشكل بدورها علاقة مجاورة ترد فيها.

إنّ اللغة إذا وصلت إلى مصاف معناها الحقيقي داخل النص الأدبي، فهي لا تتغير ولكنها تنفتح، ذلك أنّ الكلمة لا تتوانى عن أخذ تشكيل لمعناها بإضافة البعد الذي لم يكن لها داخل سياق حددّه النص، فهي معطى يبيح للقارئ أن يكشف عن مكنونه.

وإذا كانت اللغة ذلك الوسيط الفعلي الذي يصهر التجارب معاً ضمن نطاق جديد، فالمعنى لا يظهر إلا مركبا في الكلمات، ولا يُفهم إلا إذا تفاعلت اللغة باعتبارها إشارات دالة، فليس المهم أن تكتب اللغة بل كيف تكتب، إذ أنّها تختلف في رصفها وتقصيها، وذلك يبدو ماثلاً في مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية "فالعمل الأدبي يستعمل في آن عدّة أنماط علاقات وحداته فيما بينها، وهو تبعاً لذلك يخضع لعدّة أنظمة"[15]. وهذا الاختلاف مرده إلى القارئ كون النص يصدر عن دلالات ترميزية تؤخذ من

حقل اللغة لتنشئ بذاتها إمكانية التعاقب الذي يعمل القارئ على التفاعل معها "والأمر يتطلب حضور العلاقة المرئية التي توفرها الكتابة التي تمدّ العلامات بقوة تكرارية ضمن الزمان، وكل هذا يمدّ الدال ببدائل لا نهائية من المدلولات ممّا يتبث أنّ الدلالة لا نهائية ... وهذا يعني أنّ ثمة بناءً وهدماً متواصلين، وصولا إلى بلوغ تخوم المعنى"[16] الأمر الذي تقول به التفكيكية.

إنّ البنية اللغوية تتحول معانيها وتتعدد، أي أنّها لا تظل ثابتة عبر الزمان، وإنّما تتحرّك بعناصرها لتضيف إلى ذاتها أبعاداً جديدة تخلقها أثناء تزامنها لمرحلة معينة، إذ تبدو الألفاظ أكثر إيضاحاً أي أنّ اختيار الكاتب لألفاظه وانتقائها يتم بمراعاة لذهنية المتلقي (القارئ النموذجي) خاصة في فهم المفردة ، وإن استمرت اللغة في محورها التعاقبي فإنّها تترك الجانب الآخر للمتلقي للتعرّف على قصدية النص، لأن البعد التداولي للغة إنّما يأخذ في حسابه الحركة التفعيلية التي ينشئها القارئ لغاية استيعاب النص وفهم اللغة التي تشكّله، ذلك أنّ معنى الكلمة يتغيّر مدلولها بفعل الزمن فهي ليست ثابتة فيه؛ وإذا كانت الكلمات تنفي عن ذاتها الإحالة على شيء محدد فإنّ فهمها يبقى مطلباً للتخمين في قصديتها .

وإذا كانت النصوص تعمل على تغيير سننها اللغوي، فهذا راجع إلى قوّتها إذ تنفى مرجعيتها وعدم ارتباطها بمدلول معيّن، فاللغة تكاد لا تخرج في استعمالاتها عن فردية خاصة تنتهي بوعي فردي وطابع خاص يحمله النص، فللغة وظيفتها الدلالية التي تنشئ معناها بذاتها، ووظيفتها الإشارية الرمزية. إذ تتحمل مسؤولية انفتاحها على عالم وأفق جديد يختلف عن معاني كانت تملكها، وذلك أمر مركون إلى صيرورتها للخلق الدائم، إذ تنشأ من دلالاتها التضمينية الحافة داخل النسق السيميائي مدلولات أخرى، و تجعل عناصرها فعلا دائماً للخلق، "فترتبط الكلمة تبادلياً مع مثيلاتها من أصلها المعجمي في إطار الترادف إذ بواسطة هذه الاستبدالات يتحقق وجه التفاضل بين الكلمات في سياقين : الأوّل على سبيل التضاد، والثاني على سبيل التجانس، فاللغة لا تكتفي بمحورها التركيبي فقط **(L'axe Syntagmatique)** بل كذلك بتعالقها مع المحور الاستبدالي **(l'axe paradigmatique)** [17]، ويرجع هذا التعالق إلى فاعلية لا تنتهي بتوليد الدلالات والمعاني.

4 –الخرق اللغوي ومستويات الفهم:

لا شكّ أنّه إذا كان النص– الشعر بخاصة– يقوم على الخرق اللغوي المتمظهر في الانزياح والعدول، فإنّه يمتلك طاقة في التلاعب باللغة، أي يأخذها جاهزة من السياق العادي ليركب بها أنماطاً أكثر فاعلية، فاللفظة لا تتحدد دلالتها داخل علاقة تربطها بغيرها، فهي لا تأخذ معناها من سابقتها فقط بل كذلك فإنّ

معناها يتأثر بما يليها من كلمات، وتقف هذه الكلمات في صياغاتها الجديدة خلافاً لأصلها المعجمي الذي تبقى محافظة عليه مضيفة إليه دلالات أخرى، وتقام هذه الكلمات في علائق تركيبية تقوم على الانتهاك اللغوي، وقد عدّه **جان كوهن (J.Cohen)** " خروجا على النحو اللغوي العقلاني الخالص"[18]، ومن ثمة فالشعر يرسم جسراً بين العادي (المألوف)، والجديد (المبتكر) كون النص" يأخذ كلمات مستعملة بالية نكاد نقول مصنوعة في سبيل التواصل العادي، فينتج بها شيئاً جديداً يقع خارج التداول، وبالتالي خارج التبادل الوظيفي"[19]. وقد صارت الكلمة تشكل لبنة مع غيرها ضمن محورها التتابعي وكلمات غير حاضرة بذاتها، ومن ثمّ فهي تفجر طاقتها اللغوية التي تمنح النص قوته، عن طريق تكراراتها وتناظراتها، وهنا تقول لنا قصيدة ما شيئاً وتدل على شيء آخر"[20]، وهذا عن طريق ما يسمى بالحضور والغياب.

فالقارئ يشدّه النص إليه كي يردم الفجوة القائمة في مقاطعه، من خلال اللغة التي تعمل للوقوف على تجاوز معيارها الخاص لتضع القارئ أمام مباشرة إدراك تحولاتها فلم تعد العلاقة بين المعنى و الكلمة علاقة تؤول إلى التطابق، وإنّما ترجع إلى ذلك الخرق الدائم، وإن كانت لغة الشعر تختلف عن اللغة العادية، فإنّ لغة الشعر الحر تعمل على ترميز اللغتين معاً – لغة القصيدة السابقة داخل الشعر الحديث ولغة المحكي اليومي – فتعمل على إنشاء لغة تقوم على الإيحاء والتكثيف الدلالي وتوظيف نوع من المفارقات الدلالية التي تندرج في نواة السيرورة والتحولات، وترتقي إلى ذروة تعبيرية لها القدرة على إيصال التجارب القابعة في اللاوعي الذاتي، وكذلك لاوعي النص، إذ لا يمكن إظهار هذا الأخير إلا بالقارئ، وعند ذلك نجد أنّ "القصيدة من جهة لا تموت لأنها قد عاشت، لقد خُلقت قصداً لكي تنبعث من رمادها، ولكي تكون دوماً ما كانته في البداية، [كما] يتوفر الشعر على خاصية تميّزه: إنّها النزوع إلى إعادة خلق ذاتها بنفس صورتها الأصلية. الشعر يحفزنا نحو إعادة إنشائه على غرار ما قد خلق"[21]، فبنية اللغة الشعرية تخلق مسافات نسميها بفجوات التوتر الحاصلة في تأسيس رؤيا غير مألوفة يتفاعل فيها النص ويصبح منبعاً لإشعاعات جديدة ، "فليست اللغة في حقيقة أمرها إلا نظاما من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً تحتمه قوانين معينة لكل لغة"'، ويترك هذا التركيب خرقاً لغوياً واضحاً، فالعيش عادة يكون في الدنيا، فإذا تحول إلى الموت الذي يُعدّ حالة من السكون والفناء والنهاية، فإنه هنا يكمن الخرق الدلالي، ممّا يحدث انتهاكاً للمعنى السائد عند المتلقين، وهو ما يمكن أن يحدث الصدمة في توقعات الآخرين وآفاقهم، وهذا فعل ينتج عنه الأثر الجمالي الذي تحدث عنه **ياوس**.

أمّا النص فيقدّم اختياره للفظة (على المحور الاستبدالي من خارج بنية التوقعات وربط الموت بالعبثية، هنا حصلت مسافة التوتر للتفجّر على المحور التركيبي وخرق الألفة المعهودة لمكوناته والذي يمنحه فاعلية قوية بانزياح يخلق إمكانات جديدة «**فموكاروفسكي (J.Mukarovsky)** يرى أنّه كلما كانت قاعدة القياس في اللغة أكثر رسوخاً كان انتهاكها أكثر تنوعاً، وتعددت بالتالي إمكانيات الشعر في تلك اللغة، ومن ناحية أخرى فلما كان الوعي بهذا المعيار ضعيفاً قلّت إمكانيات الانحراف وبالتالي إمكانات الشعر"[22].

في هذا الانزياح الذي أقيمت فيه العلاقات من تبادلات ممكنة على صعيد الدلالة، ومنتهكة على صعيد آخر، أقيم المرئي مقام اللامرئي والمعلوم مكان المجهول، والمجرد محل المحسوس، فصارت لغة النصوص في مجملها مُقامة على مثل هذا النوع من الانتهاك، إذ تتشكل مستويات اللغة مع أنماط خاصة تثري أبعادها، ومن هنا كانت دعوة المتلقي للاندماج بأفقه مع أفق النص والتماهي معه من خلال حواره معه، ويسير النص لأن يفتح للمفردة خلقاً جديداً، وهذا الحضور لن يكون إلا مبرّراً كذلك بخلفيات انفعالية.

ومن الواضح أنّ الطابع الاستعاري للغة قائم على القدرة الإيحائية، والمنطوية تحت استبدال المعنى وهو مشار إليه بخطية تكوينية تفرضها اللغة، فهي لا تتحول بذاتها وإنّما يتجلى في تغيرها للمعنى، فتنتزع عنها دلالتها المطابقة لتضفي إلى حقلها دلالات إيحائية تستدعيها، ومن ثمّ تترك الجانب الأكبر للقارئ حتى يتعرّفها، ويدرك طاقتها الكامنة في اختلافاتها وتحولاتها ، ذلك أنّ "الكلمة الشعرية هي في نفس الآن موت وانبعاث اللغة "[23]، فيتحول الدال الأوّل إلى انشطار يفجّر من خلاله الدلالات ، ومن ثمّ فهي تؤدي وظيفة إحداث الخيبة في المتلقي بإقامتها على أفق جمالية المعارضة، بكسر الثابت وخلق الأفق التركيبي الجديد ويكون تكوين المعنى داخل اللغة ، مما ينتهي كنوع من الغياب أو الحضور للكلمة التي تحافظ بدورها على المعاني القارة، وتنشئ لها علاقات مع دلالات أخرى، وذلك يتم ضمن سياق يضمن الاهتداء للمعنى المحدد بالضبط في النص.

-**خاتمة:** ما يمكن تأمله أن التأويل يبحث فيما يقوم عليه النص من انتهاكات يرتضيها لنفسه، ممّا يحدث نوعاً من الصدمة والخيبة التي تُعالج كنوع من الآثار الجمالية ، والتي تتم على مستويات النص جميعاً ابتداءً باللغة ، فهو يقيم لذاته أمكنة فارغة من المعنى، هدفه أن يضلل القارئ ويتركه مشدوداً بوعيه مركزاً فيها، فهو يعيد صياغة أبعاده ضمن أُطر مغايرة لتلك التي كان قد عرفها القارئ ونفض يده منها، فما يجدر إتقان معرفته هو تلك الخطوط المنطوية والمليئة بالنتوءات على مجرى النص ضمن الممكنات اللغوية الحاصلة كنوع من الغياب الدلالي التي يُعمل القارئ نظره إليها، ويتأملها ليشّق الحجاب عنها ويعمل كذلك على تفكيك رموزها، فاللغة لا تنهي من معناها بل تظل مجبرة على التلاعب بمعانيها و دسّها، فتتيح تكوينات دلالية تهيئ مسارات جديد بفضل القارئ و أفقه حتى يوجد معناه الذي ارتضته لنفسها و من ذلك تشده إليها ، وتجبره على خوض لعبة البحث عن مجهول المعنى.

-الهوامش:

[1]- علي حرب، التأويل والحقيقة قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير، بيروت، ط2، 1995، ص105.

[2] منذر عياشي، الاسلوبية وتحليل الخطاب مركز الأنماء الحضاري، سورية، ط1، 2002، ص129.

[3] عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص37.

[4] محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1 ،1990، ص105.

[5] المرجع نفسه، ص 105.

[6] تزفتان تودوروف، نظريات في الرمز، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012، ص285.

[7] ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص16.

[8] أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاصد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص71،

[9] أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص64.

[10] ج: هيوسلفرمان نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية،تر :علي حاكم صالح وحسن ناظم،المركز الثقافي العربي بيروت ، ط1، 2002، ص36.

[11]– زتيبسلاف، واورنياك، علم النص ومشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2003،1، ص74.

[12]المرجع نفسه، ص59.

13 – عميش عبد القادر، الأدبية بين تراثية الفهم وحداثة التأويل (مقاربة نقدية لمقول القول عند ابي حيان التوحيدي)، منشورات دار الأديب، وهران، د.ط، د.ت، ص 93.

[14]– ينظر: سعيد توفيق، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت،ط1، 2002، ص 28، وينظر أيضا: ص43.

15 – تزفطان طودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص 58.

16 – بسّام قطّوس، استراتيجيات القراءة(التأصيل والإجراء)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 1998،ص 22.

[17] – ينظر:يوسف حامد صابر، بنيوية كمال أبو ديب (عرض ومناقشة لدراسات الناقد البنيوية)، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع4، 1997، ص 290.

18 – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1999، ص 205.

19 – بسام بركة، نظرية الأدب عند رولان بارت، مجلة العرب والفكر العالمي، ع1، ص151.

20 – وائل بركات، مفهومات في بنية النص، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص 79.

21- سمويل ر.ليفن، البنيات اللسانية في الشعر، تر: الولي محمد والتوازني محمد، منشورات الحوار الأكاديمي، دار الخطابي، 1989، ص 76.

22- ينظر: يوسف حامد صابر، بنيوية كمال أبو ديب (عرض ومناقشة لدراسات الناقد البنيوية)، ، ص 291.

23 – جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986،
ص 214.

-قائمة المصادر والمراجع:

1. أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1996.
2. بسّام قطّوس، استراتيجيات القراءة(التأصيل والإجراء)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 1998.
3. تزفطان طودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1987.
4. تزفتان تودوروف، نظريات في الرمز، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012.
5. جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986.
6. زتييسلاف، واورنياك، علم النص ومشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2003،1
7. سمويل ر.ليفن، البنيات اللسانية في الشعر، تر: الولي محمد والتوازني محمد، منشورات الحوار الأكاديمي، دار الخطابي، 1989، ص 76.
8. سعيد توفيق، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002.
9. علي حرب، التأويل والحقيقة قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير، بيروت، ط2، 1995، ص105.

10. عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي، منشورات الاختلاف، ط1، 2007.
11. عميش عبد القادر، الأدبية بين تراثية الفهم وحداثة التأويل (مقاربة نقدية لمقول القول عند ابي حيان التوحيدي)، منشورات دار الأديب، وهران، د.ط، د.ت.
12. محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1 ،1990.
13. منذر عياشي، الاسلوبية وتحليل الخطاب مركز الأنماء الحضاري، سورية، ط1، 2002.
14. ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط2، 2002.
15. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1999.

هيوسلفرمان نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر: حسين ناظم وعلي حاكم صالح، بيروت الدار البيضاء، ط1، 2002.

16. وائل بركات، مفهومات في بنية النص، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996

-المقالات والدوريات:

1-بسام بركة، نظرية الأدب عند رولان بارت، مجلة العرب والفكر العالمي، ع1، الكويت.

2-يوسف حامد صابر، بنيوية كمال أبو ديب (عرض ومناقشة لدراسات الناقد البنيوية)، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع4، 1997.